

DOI: 10.54240/2318-013-001-009

**الصراع على السلطة داخل البيت الزياني وآثاره على المغرب الأوسط
(ما بين القرنين 8-10هـ/14-16م)**

**The struggle for power within the Zayne House and its effects
on the Middle Maghreb (between the 8-10 centuries AH 14-16 AD)**

اسم ولقب المؤلف المرسل: سنوسي بدر- SENOUCI BADRA صص 182-200

الدرجة والعنوان المهني: طالبة دكتوراه في تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط- باحث في
مختبر الجزائر والحوض الغربي للمتوسط- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية-
جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس- الجزائر/البريد الإلكتروني: senouci.badra20@gmail.com

اسم ولقب المؤلف الثاني: أ.د محمد بوشنافي- MOHAMED BOUCHENAFI
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ- قسم العلوم الإنسانية- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة
جيلالي ليابس- سيدي بلعباس- الجزائر/البريد الإلكتروني: bouchenafi22@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2022/12/13.. تاريخ المراجعة: 2023/01/05 تاريخ القبول: 2023/05/12

الملخص: شهدت الدولة الزيانية مع منتصف القرن 8هـ/14م فترات صراع على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة تعددت أسبابه ومبرراته، وإن كانت أغلبها بتحريض من الخصمين بني مرين وبني حفص، زيادة على الدور الخطير الذي أداه الإسبان في إثارة هذا الصراع داخل البيت الزياني. إلا أن العامل الداخلي المتمثل في السعي للوصول إلى السلطة واعتلاء العرش كان أبرز هذه المبررات والدوافع، إذ لاحت داخل الأسرة الزيانية بوادر الخروج عن الطاعة والطمع في السلطة، حيث أضى اعتلاء العرش الزياني طموح كل فرد من أفراد الأسرة الحاكمة الذين لم يدخروا أية وسيلة من أجل الوصول إلى مبتغاهم حتى ولو كانت بالاستعانة بالغريمين التقليديين، بني مرين وبني حفص، والانضواء تحت لوائهم والخطبة باسمهم دون مراعاة أية عواقب لذلك. وقد كان لهذا الصراع آثار جمة على البعدين الداخلي والخارجي انعكست سلبا على الأوضاع الأمنية والاقتصادية والاجتماعية لمجتمع المغرب الأوسط، وتسببت في تقويض مجال الدولة الزيانية، الأمر الذي أدى إلى تصدعها وانهارها. ولم تنته هذه الصراعات إلا بنهاية الدولة الزيانية، مما أتاح الفرصة أمام الأتراك العثمانيين للظهور على الساحة السياسية للمغرب الأوسط.

الكلمات المفتاحية: السلطة- البيت الزياني- الصراع- المرينيين- الحفصيين- الإسبان- الأتراك العثمانيين- الانعكاسات- الأمنية- الاقتصادية.

ABSTRACT: The Zayn state witnessed by the middle of the 8th century AH / 14 AD, a power struggle between members of the ruling family. Its reasons and justifications were numerous, as the ascension of the Zayn throne became The ambition of every member of the ruling family, they spared no means to obtain their aim, even resorting to the assistance of their ancient rivals" from the Marinades or the Hasid's" and that even entailed the congregation under their banner, sermonizing in their names with utter disregard to any potential dire consequences. In addition, not only that, but they even sought the help of the Spanish Who on the other side, spared no effort to fuel. This conflict and turn the stationing their favor. It is that, this conflict had a crucial impact both internally. It negatively affected the situation in central Morocco, and it undermined the territory of the Zayn state, which eventually led to its demise. Consequently, the whole situation gave the Ottoman Turks the opportunity to make an appearance in the political scene of the Central Maghreb.

Keywords: Authority- Zianid House- Conflict- Merinids- Hasid's - Spaniards - Ottoman Turks- reflections -security implications- economic implications.

المقدمة: كانت سنة 609هـ/1212م محطة مفصلية في تاريخ الدولة الموحدية ونقطة انعطاف في المسار التاريخي لمنطقة المغرب الإسلامي، ذلك أنّ هذه السنة شهدت انهزام هذه الدولة في معركة حصن العقاب، فأدى ذلك إلى ضعفها وتصدعها، مما شجّع القوى الخاضعة لها على الثورة والتمرد، ومن آثار ذلك ظهور ثلاث دول جديدة في منطقة المغرب الاسلامي إنها: الدولة الحفصية في المغرب الأدنى، والزيانية في المغرب الأوسط، والمرينية في المغرب الأقصى.

كان التنافس والصراع هو السمة الغالبة لعلاقة هذه الدول فيما بينها، فنتج عنه تأثير مباشر وخطير على الشؤون الداخلية لهذه الدول، وكذلك في علاقاتها فيما بينها، وكذا مع القوى الإقليمية والدولية في تلك المرحلة التاريخية. كانت منطقة المغرب الأوسط الخاضعة للزيانيين الأكثر تضررا من هذا الوضع، حيث عرفت صراعا كبيرا مقارنة ببقية المناطق سواء على المستوى الوضع الداخلي أو الخارجي. ولذلك سنعمل من خلال هذه الدراسة على توضيح ماهية الصراع الداخلي القائم داخل الأسرة الزيانية ومنتج عنه من تحالفات إقليمية ودولية، وانعكاسات جيو سياسية على منطقة المغرب الأوسط في القرنين (14/

16م). وبناء على ما سبق نطرح التساؤلات التالية: ماهي دوافع الصراع داخل البيت الزياني؟ هل كانت من أجل مصلحة البلاد والعباد؟ أم حركتها أطماع شخصية؟ ماهو دور القوى الخارجية في إذكاء هذا الصراع؟ ماهي الآثار الناجمة عن الصراع على المنطقة عامة وتلمسان خاصة؟

1- بؤادر الصراع داخل الأسرة الزيانية: ما يجب الإشارة إليه أن الدولة الزيانية في طورها الأول (633- 718هـ/ 1235- 1318م) استطاعت أن تتفادى الصراعات على السلطة بين أمراءها، ويرجع ذلك إلى أن أمراء تلك الحقبة كانوا على سيرة مؤسس الدولة يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1236-1282م) الذي أجمعت المصادر التاريخية على أنه كان على قدر من القوة حيث يصفه ابن خلدون بقوله: "كان يغمراسن بن زيان من أشد هذا الحي بأسا، وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا، وأعرفهم بمصالح قبيله، وأقواهم كاهلا على حمل الملك واضطلاعا بالتدبير والرياسة..."¹. ولم يكن أبا سعيد عثمان وابنيه من بعده أقل بأسا من يغمراسن بن زيان وهذا ما يفهم من وصف يحي بن خلدون: "وفي سنة 706هـ أجمع رأي السلطان أبي زيان وأخيه أبي حمو وأعيان قبيلتهما على الاسحار إلى العدو والإقدام عليه فإمّا ملك أو هلك، فوطنوا على ذلك النفوس وأوفدوا له العزائم. وإن ذلك لأوضح دليل على شرف أهل هذا البيت وسراوة همته، وشهامة قلوبهم وتراميمهم إلى المعالي... وشدة حميتهم..."².

وقد نستدل باستتباب الحكم داخل الأسرة الزيانية آنذاك بما ذكره عبد الرحمن بن خلدون بأنهم كانوا أيام قوة دولتهم متحدين في سلمهم وحرهم يقدمون فرائض الولاء والطاعة لأمرائهم، وهذا ما يفهم من قوله عند حديثه عن وفاة أبوسعيد عثمان والبيعة لأبي زيان: "فقام أبو حمو من مكانه وأكبّ على يد أخيه يقبلها، وأعطاه صفقة يمينه واقتدى به المشيخة، فانعقدت بيعته لوقته واشتمل بنو عبد الواد على سلطانهم واجتمعوا إليه، وبرزوا إلى قتال عدوهم على العادة فكأن عثمان لم يمت..." وبعد أن بايع أبو حمو

1- عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/ 1406م)- تاريخ ابن خلدون- ج7- (مراجعة- سهيل زكار)- بيروت- دار الفكر- 2000م- ص 106- يحي بن خلدون- بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد- ص 109-117- ابن الخطيب السلماي- رقم الحلل في نظم الدول- تونس- المطبعة العمومية- 1316هـ- ص 70- ابن الأحمر- تاريخ الدول الزيانية- (تقديم- هاني سلامة)- ط1- الظاهر- مكتبة الثقافة الدينية- 2001م- ص 18-24.

2- يحي بن خلدون- المصدر نفسه- ص 122-123.

موسى الأول (707- 718هـ/1308- 1318م) والمشيخة العبد وادية أبا زيان (703- 707هـ/1304- 1308م) كان لأخيه مناصرا ومآزرا وقام بالأمر من بعده أحسن قيام وأدب القبائل الثائرة وفرض الجباية¹.

غير أن المصادر التاريخية التي تطرقت لتاريخ هذه الدولة تجمع على أنّ بواذر العصيان والخروج عن الطاعة ظهرت في عهد أبي تاشفين عبد الرحمن الأول (718- 737هـ/1318- 1337م) الذي دخل مع والده في صراع على العرش انتهى بمقتل أبي حمو موسى الأول وتولي أبا تاشفين عرش الدولة الزيانية². ويمكن اعتبار هذه الحادثة بداية سلسلة من الصراعات على العرش الزياني التي رافقت الدولة حتى سقوطها واضمحلالها، اتخذ هذا الصراع أشكالا عدة كالمؤمرات والاعتيالات وتآليب العامة وتحريض القبائل، إلا أنّ ما يهمنا في هذه الدراسة هو البحث في أسباب هذا الصراع والوقوف على دور القوى المجاورة في تغذيته.

2- دور العامل الخارجي في تأجيج الصراع داخل الأسرة الزيانية:

2-1 دور المرينيين في تأجيج الصراع داخل الأسرة الزيانية: ما تجدر الإشارة إليه أن كل إمارة من الإمارات الثلاث السابقة الذكر سعت إلى التوسع على حساب الأخرى، غير أن ميزان القوة كان يميل لصالح الدولة المرينية التي توسعت في جزء كبير من المغرب الأوسط بل وصلت حتى تونس وأخضعها لمدة عامين.

وعموما يمكننا إرجاع التدخل المريني في الشؤون الداخلية لبني زيان بشكل فعلي إلى عهد أبي حمو موسى الثاني (760- 791هـ/1359- 1389م) الذي بادره بالعصيان أحد أبناء عمه، إنه أبو زيان بن عثمان بن أبي تاشفين الأول، كان ذلك في سنة 762هـ/1361م حين التجأ إلى أعداء الدولة من بني مرين مرتجيا عندهم النصرة على السلطان أبي حمو موسى الثاني، فلم يتوان هؤلاء في امداده بالمال والجند رغبة منهم في الخلاص من هذا الأخير. إلّا أنّ الطرفين دخلا في صراعات وحروب تجاوزت عقدين من الزمن كانت الغلبة فيها من نصيب أبي حمو موسى الثاني على خصمه أبي زيان في أغلب الأحيان وذلك ما أثبتته المعركة

1- عبد الرحمن بن خلدون- المصدر نفسه- ص 128- ابن الأحمر- المصدر نفسه- ص 71- يحيى بن خلدون- نفسه- ص 125- 127- مبارك الميلي- تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ج3- الجزائر- دار الكتاب العربي- 2007م- ص 734.
2 - التتسي (899هـ/1494م)- نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان- (تحقيق- محمد بوعباد)- الجزائر- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- 2011م- ص 138- 139- يحيى بوعزيز- تلمسان- الجزائر- وزارة الثقافة- مطبعة الجيش- 2007م- ص 63.

التي دارت راحاها بين الطرفين سنة 769هـ/1368م¹. ولم يكد السلطان أبا حمو موسى الثاني يتخلص من ثورات أبناء عمومته عليه حتى لاح الدعم المريني ضده متجسدا في تعبئة ابنه أبي تاشفين الثاني عبد الرحمن (791-795هـ/1389-1393م) بجيش كبير يقوده زيان بن عمر الوطاسي، فلم يجد السلطان الزياني بدا من الخروج إليهم غير مكترث بعددهم، فالتقى الطرفان عند جبل بني ورنيد وبعد قتال عنيف لقي السلطان أبو حمو الثاني حتفه بعدما سقط عن فرسه ليجهز عليه أحد أتباع ابنه، وكان ذلك سنة 791هـ/1390م على أرجح الأقوال².

وبعد تولي أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو الثاني العرش أصبح خاضعا لبني مرين يخطب باسمهم ويؤدي لهم الضريبة السنوية جزاء لمساعدتهم له، وأمام هذا الوضع المتردي الذي اتصف بالخضوع والهيمنة ثارت حمية الأمير أبو زيان بن أبي حمو الثاني (796-801هـ/1394-1398م) حاكم مدينة الجزائر وبدأ حملاته الانتقامية لمقتل والده فتحالف مع القبائل العربية، إلا أن حملاته لم تحقق مسعاها بفضل قوة الجهة الداعمة لأبي تاشفين الثاني. فقرر أبو زيان الإلتجاء إلى بني مرين لتحقيق مشروعه السياسي ليجسد صورة أخرى من صور التدخل المريني، فما كان من هؤلاء إلا تجهيزه بالمال والجند ليغير به على حاضرة بني زيان وما إن وصل إلى مدينة تازا حتى وصله نبأ وفاة أبي تاشفين الثاني بعد مرض ألم به سنة 795هـ/1394م³.

بعد هذه الواقعة دخل المغرب الأوسط مرحلة جديدة من الصراع حول السلطة بتدخل وتسيير مباشر من السلطة المرينية، حيث تمت مبايعة أبو ثابت بن أبي تاشفين سنة 795هـ/1393م، وكان لا يزال صبيا ولذلك فتم تعيين الوزير أحمد بن العزوصيا عليه إلا أن أبا الحجاج يوسف بن أبي حمو (ابن الزابية) والي الجزائر من قبل أبي تاشفين ثار عليه وطالب بالعرش، وتمكن بعد أربعين يوما من حكم الصبي من التخلص منه ومن ووزيره

1- يحيى بن خلدون- المصدر السابق- ص 128-130- محمد بن يوسف الزباني- دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران- (تحقيق- المهدي البوعبدلي)- الجزائر- عالم المعرفة- ط1- 2013م- ص 143.

2- التنسي- المصدر السابق- ص 181- ابن خلدون- المصدر السابق- ص 481- محمد بن يوسف الزباني- المصدر نفسه- ص 155.

3- التنسي- المصدر السابق- ص 203- ابن خلدون- نفسه- ص 482- عبد العزيز فيلاي- تلمسان في العهد الزباني- الجزائر- موقف للنشر والتوزيع- 2002م- ص 68.

الوصي عليه والوثوب على عرش تلمسان سنة 795هـ/1394م¹، ثم إنّ أبا زيان استرجع حكم تلمسان من أبي الحجاج يوسف سنة 796هـ/1395م تحت نفوذ بني مرين الذين أطلقوا سراحه، فتمكن من القضاء على ثورة أبي الحجاج والتخلص منه وتأليب القبائل العربية عليه في سنة 797هـ/1396م². وهذا ما انتهى إليه العلامة عبد الرحمن بن خلدون في تأليفه عن بني عبد الواد.

إلا أنّ هذا الوضع الذي آلت إليه الإمارة الزيانية من استتاب في الأمور السياسية لم يرض بني مرين في فاس، فأخذوا يعدّون للإطاحة بسلطان بني زيان من خلال أحد إخوته وهو عبد الله بن أبي حمو الثاني، وذلك سنة 801هـ/1401م، وفي ذلك يقول التنسي: "ولم يزل في دار ملكه مطاعا مهيب الجناح... فتحرك عليه أخوه السلطان أبو محمد عبد الله مستجيها ببني مرين وكثير من أهل الوطن... ثم بويع المولى أبو محمد عبد الله"³. ثم ما لبث بنو مرين أن زحفوا إلى تلمسان سنة 1404م لتنصيب ابن خولة أبو عبد الله محمد (804-813هـ/1403-1411م) مكان أخيه أبي محمد ذلك أنهم ارتابوا في أمره بعدما كان صنيعتهم، فاعتزموا الخلاص منه وتعويضه بابن خولة الموالي لهم، فكان هذا السلطان فاتحة خير على بني زيان سكنت في عهده الأحوال إلى أن وافته المنية سنة 813هـ/1411م⁴، ثم سلكوا نفس المسلك سنة 1414م عندما ساعدوا أبا مالك عبد الواحد (833-831هـ/1430-1432م) في الثورة على أخيه السعيد بن أبي حمو حيث حكم عبد الواحد نحو أربعة عشرة سنة⁵.

2.2 دور الحفصيين في تأجيج الصراع داخل الأسرة الزيانية: وجدت السلطة الحفصية في الصراع على السلطة داخل البيت الزياني فرصة للانتقام من هؤلاء بسبب خلعهم طاعة الحفصيين ومحو ذكر اسمهم من على منابر الدولة الزيانية هذا من جهة ومن جهة أخرى وجدت فرصة للردّ على الهجمات المتكررة التي قام بها سلاطين بني زيان بداية بحملات

1- ابن خلدون- المصدر السابق- ص 482- عطاء الله دهبنة- ضمن كتاب الجزائر في التاريخ- ج3- الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب- 1984م- ص 426.

2- ابن خلدون- المصدر نفسه- ص 483.

3- التنسي- المصدر السابق- ص 227-228- عبد الرحمن الجيلالي- تاريخ الجزائر العام- ج2- ط2- الجزائر- مكتبة الشركة الجزائرية- 1965م- ص 186.

4- التنسي- نفسه- ص 229-232.

5- التنسي- نفسه- ص 235- عبد الرحمن الجيلالي- المرجع نفسه- ص 188.

أبوسعيد عثمان على أملاك الحفصيين، فاستغلت فرصة تدخل أبي حمو موسى الثاني في بجاية وضرب حصار عليها انتقاما لمقتل صهره أمير بجاية أبو عبد الله، فبعث السلطان أبو العباس الحفصي الأمير أبو زيان بن السلطان سعيد ابن عم أبي حمو موسى الثاني من قسنطينة أين كان محبوسا هناك في عدد من العساكر مدعوما بالقبائل العربية من رياح وزغبة وسويد وحصين، وتمكن أبو زيان من هزيمة أبي حمو الثاني والتضيق عليه مما اضطره للفرار إلى تلمسان¹.

استمر التدخل الحفصي خلال القرن التاسع الهجري، ففي عام 827هـ/1424م قام السلطان أبو فارس الحفصي (796- 837هـ/1394- 1434م) بخلع الأمير أبو مالك عبد الواحد بعد حكم دام حوالي ثلاثة عشرة سنة وعين مكانه أبو عبد الله المدعو ابن الحمراء². ثم بدا للحفصيين أمر آخر بعدما وردت إليهم أخبار أوغلت صدورهم عليه، فلما استنجد بهم حليفهم السابق أبو مالك عبد الواحد بعد فشل محاولاته في الاستيلاء على عرش ابن الحمراء قام السلطان أبو فارس الحفصي بدعم عبد الواحد بالمال وبعث معه قائده على قسنطينة العليج جاء الخير في حملة على تلمسان كان مآلها الفشل، وهنا قام السلطان الحفصي أبو فارس بتجهيز حملة قادها بنفسه وحمل معه السلطان المخلوع أبو مالك عبد الواحد، وبعد حصار شديد على تلمسان فرّ ابن الحمراء ناجيا بنفسه فاستولى عليها السلطان الحفصي سنة 831هـ/1428م، ثم غادرها بعد أن أعاد تعيين أبو مالك عبد الواحد عليها³. إلا أنّ ابن الحمراء لم يهنأ له بالاً وراح يجمع الحلفاء من القبائل العربية في برشك وتنس لاسترجاع عرشه، وتم له ذلك سنة 833هـ/1431م بعد مقتل غريمه السلطان عبد الواحد.

قام الحفصيون سنة 834هـ/1432م بعد مقتل حليفهم السلطان الزياني عبد الواحد بتعيين أحد الأمراء الزيانيين المواليين لهم، إنه أحمد المعتصم بن أبي حمو الثاني (834هـ- 866هـ/1431- 1462م) الملقب بـ"العاقل"⁴، والذي حكم اثنتين وثلاثين سنة تخللتها ثورات

1- ابن خلدون عبد الرحمن- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا- بيروت- دار الكتاب اللبناني- 1979م- ص 108-141.

2- التنسي- المصدر السابق- ص 241.

3- التنسي- نفسه- 244-245.

4- التنسي- نفسه- ص 247.

وانقلابات قام بها أفراد من البيت الزياني كانت بدايتها ثورة أخيه أبي يحيى بن أبي حمو سنة 838هـ/1436م، وثورة أبي زيان بن أبي ثابت (843هـ/1441م) الذي خرج عليه في الناحية الشرقية سنة 841هـ/1439م، كما خرج عليه أحمد بن الناصر بن أبي حمو بتلمسان سنة 850هـ/1446م. أما أشد وأخطر هذه الثورات فكانت ثورة محمد المتوكل على الله (873هـ/1468م) الذي ثار في مليانة¹ سنة 866هـ/1461م، ثم اتجه نحو تلمسان فاستولى على المدن الواقعة في طريقه إليها، كما استطاع السيطرة على تلمسان التي لم تصمد أمامه، ونفى سلطانها أحمد العاقل إلى بلاد الأندلس، ولكن هذا الأخير عاد من منفاه بجيش من القبائل العربية والزناتية، إلا أنه قتل أثناء حصاره لتلمسان سنة 867هـ/1462م².

2-3 دور العامل القبلي: ساهمت القبائل ولاسيما العربية منها في دعم الصراع على السلطة وإذكاءه، ذلك أن الدولة الزيانية منذ قيامها اعتمدت على عصبية عرب سويد وزغبة وبني عامر والذواودة في وقت لاحق، وهذا ما ذهب إليه شارل أندري جوليان في حديثه عن السلطان أبي زيان بقوله: "وأدرك أن أي عمل ناجح لا يعتمد البدو يكون من باب المستحيل..."³، إلا أن هذا الدعم انعكس سلباً على أوضاع الدولة حيث قام هؤلاء بدعم كل معارض وطالب للسلطة، وذلك ما حدث مع أبي حمو الثاني عندما حاصر بجاية رداً على مقتل صهره أبي عبد الله محمد صاحب المدينة، فسعى إلى كسب قبائل رياح إلى جانبه في حربه ضد أبي العباس وكلف ابن خلدون بهذه المهمة "أخذ في استئلاف قبائل رياح، ليجلب بهم مع عساكره على أوطان بجاية، وخاطبني في ذلك لقرب عهدي باستبائهم، وملك زمامهم، ورأى أن يعول علي في ذلك، واستدعاني لحجابه وعلامته"، نجح ابن خلدون في مهمته واستطاع كسبهم إلى جانب أبي حمو "وحملتهم على إجابة داعي السلطان- مبعوثه إلى هذا السلطان- والبدار إلى خدمته، وانحرف كبرائهم عن خدمة السلطان أبي العباس إلى

1- مليانة- مدينة قديمة البناء حسنة البقعة- كريمة المزارع ولها نهر يسقي أكثر مزارعها وحدائقها وجنائها--- ولأقاليمها حظ من سقي نهر شلف- وبجنوبها الجبل المسى بجبل ونشريس- ينظر- الأدرسي- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق- مدينة ليدن- مطبعة بريل- 1863م- ص 85-86.

2- التنسي- المصدر نفسه- ص 249-257- عبد العزيز فيلالي- المرجع السابق- ص 72- مبارك الميلي- المرجع نفسه- ص 754.

3- شارل أندري جوليان- تاريخ إفريقيا الشمالية- ج2- (تعريب- محمد مزالي- البشير بن سلامة)- تونس- الدار التونسية للنشر- 1983م- ص 204.

خدمته، والاعتماد في مذاهبه، واستقام غرضه من ذلك¹ ولكن السلطان الحفصي أبو العباس رد على ذلك باطلاق سراح الأمير أبو زيان بن عثمان في رجالات من العرب والبربر ثم تخلت بنو زغبة عن السلطان أبي حمو وراسلوا الأمير أبا زيان وانضووا تحت لواءه². كما تناولت قبائل سويد على السلطان أبي حمو موسى الثاني عندما ثار ضده ابنه أبو تاشفين الثاني بمساعدة بني مرين³.

مما سبق نستخلص أن القبائل العربية بالمغرب الأوسط لعبت أدوارا متعددة، فكانت دائما تميل إلى الطرف القوي، فيذكر ابن خلدون أن السلطان المريني عبد العزيز لما قرر الخروج من تلمسان لملاحقة السلطان أبي حمو، كلفه بالذهاب قبله حتى يمهد له الطريق لدى قبائل رياح "ورأى أن يقدمني أمامه إلى بلاد رياح لأوطد أمره، وأحملهم على مناصرتي، وشفاء نفسه من عدوه، بما كان السلطان أنس مني من استتباع رياح، وتصريفهم فيما أريده من مذاهب الطاعة"⁴.

أصبح ابن خلدون يحرض القبائل ضد أبي حمو، الذي كان صديقه بالأمس القريب، بل ونجده ينضم إلى الحملة التي كانت تطارده وذلك لما كلفه السلطان عبد العزيز بقيادة قبائل الذواودة "وكتب السلطان أشياخ الذواودة من رياح بالمسير إلى حصار تيطري من جهة القبلة. وكتب أحمد بن مزني صاحب بسكرة بإمدادهم بأعطياتهم، وكتب إلي يأمرني بالمسير بهم لذلك، فاجتمعوا علي، وسرت بهم أول سنة أربع وسبعين، حتى نزلنا بالقטיפفة- شرق مليانة"⁵.

وبعد مقتل أبي حمو موسى الثاني واعتلاء ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن العرش الزياني وبسبب تبعيته لبني مرين التي لم ترض أخاه الأمير أبو زيان صاحب الجزائر، فاستعان بالقبائل العربية الحليفة لبني زيان كعرب حُصَيْن وبني عامر من زغبة، وتجهز ثم تقدم صوب تلمسان وضرب عليها حصاراً سنة 792هـ/1391م من أجل خلع أخيه السلطان

1- ابن خلدون- تاريخ ابن خلدون- ج 7- ص 98-99.

2- ابن خلدون عبد الرحمن- التعريف... المصدر السابق- ص 98- مؤلف مجهول- زهر البستان في دولة بني زيان- (تحقيق- بوزياتي دراجي)-

ج2- الجزائر- مؤسسة بوزياتي-2013م- ص 150.

3- شارل أندري جولييان- نفسه- ص 207.

- ابن خلدون- تاريخ ابن خلدون- ص 121. 4.

5- ابن خلدون- تاريخ ابن خلدون- ج 7- ص 134.

أبي تاشفين انتقاما لمقتل أبيه، ووضع حدًا لتبعيته لبني مرين، إلا أن هذا الأخير تمكن من فك هذا الحصار بعد عدة أيام، وذلك بسبب تخاذل حلفاء أبي زيان بن أبي حمو الثاني عن نصرته وتفرقهم عنه كون أبي تاشفين قد أغراهم بالأموال كما أشار إلى ذلك عبد الرحمن بن خلدون¹، فرجع إلى مدينة الجزائر حتى إذا هيا نفسه واستجمع قواه وحشد أنصاره من العربان حمل بهم على تلمسان يريد انتزاعها من أخيه الذي التقى معه بضواحي المدينة، فكانت الغلبة لأبي تاشفين في حين فرّ أبو زيان إلى الصحراء مستغيثاً بعرب المعقل الذين لم ييخولوا عليه بالدعم والمساعدة². إلا أن الدور المهم والحاسم الذي قامت به العامة كان خلال القرن العاشر الهجري بعد الاستنجد بالأتراك العثمانيين حين قامت بإخراج أبا زيان من السجن وتنصيبه على عرش تلمسان بعد فرار عمه أبو حمو الثالث، إلا أنه مافتي يثير العامة على الأتراك في تلمسان³.

3- التنافس على العرش داخل البيت الزياني وعلاقته بالقوى الدولية في القرن 10هـ/16م:

1.3- مع الإسبان: مع مطلع القرن 16م تطور هذا الصراع داخل البيت الزياني وأخذ منحاً خطيراً سرّع بالسقوط النهائي للدولة ففي سنة (909هـ/1503م) اعتلى عرش بني زيان السلطان أبو زيان المسعود بن محمد الثالث الثابت (923-924هـ/1517-1518م)، فخرج عليه عمه أبو حمو الثالث الملقب بقلمون (924هـ/1518م)، واستولى على العرش، وقام بسجنه مما اضطر يحيى الثابت أحد الأمراء الزيانيين وأخ السلطان أبو زيان إلى الاحتماء بالملك الوطاسي محمد البرتغالي (910-932هـ/1504-1525م)⁴. فاستدعاه أهل تنس لتنصيبه على العرش مما أدى إلى انقسام الدولة الزيانية بين عرش تلمسان وتنس، ثم ما لبث الأمير يحيى الثابت أن طلب نجدة الإسبان في وهران؛ فاعتنم هؤلاء هذه الفرصة وقاموا بتغذية الصراع على العرش الزياني لصالحهم، وبعدما احتلوا المرسى الكبير⁵ سنة 1505م

1- ابن خلدون- تاريخ ابن خلدون- ج 7- ص 481- عبد العزيز فيلاي- المرجع السابق- ص 66.

2- ابن خلدون- نفسه- ص 481- يعي بوعزيز- المرجع السابق- ص 72.

3- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشهبو- دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر- الجزائر- المطبعة الشعبية للجيش- 1972م- ص 74.

4- محمد دراج- الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس- الجزائر- دار الأصاله للنشر والتوزيع- ط1- 2012م- ص 91.

5- المرسى الكبير - به ترسو المراكب الكبار والسفن السفينة- وهذا المرسى يستمر من كل ربح لأنه في جون جبل مطل على وهران مرتفع- وليس له مثال في مراسي حائط البحر من بلاد البربر- ينظر- الادريسي- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق- مدينة ليدن- مطبعة بريل- 1863م- ص 83- عبد

قاموا بالتدخل في عرش تنس¹ من خلال دعم الأمير يحيى الثابتي، وإثارة الحروب الطاحنة بين عرش تنس وعرش تلمسان، فلم يزل أبو حمو الثالث يوجه الحملة تلو الأخرى للقضاء على يحيى الثابتي، ومن ورائه الدعم الإسباني في وهران، ولكن محاولاته لم تؤت أكلها، فاضطر في النهاية إلى الاستسلام للإسبان في وهران، وأداء ضريبة الحماية لهم، والمقدرة باثني عشر ألف مثقال من الذهب واثنني عشرة فرسا من الخيول العربية بالإضافة إلى شروط أخرى.

وهكذا استغل الإسبان هذا الصراع لصالحهم ودعموا مشروعهم الاستعماري، خاصة لما أضى المغرب الأوسط عبارة عن مجموعات من الإمارات المستقلة عن السلطة المركزية في تلمسان، حيث برزت كيانات سياسية كالتالي: الجزء الداخلي كان خاضعا لنفوذ الطرق الصوفية، إذ ظهرت كيانات مستقلة في بعض الواحات كفقيق ومنطقة الونشريس، وبلاد القبائل والنتيجة، أما الجزء الشرقي فكان خاضعا للحكم الحفصي، وشكلت المدن الساحلية شبه جمهوريات مستقلة تعتمد على ممارسة التجارة والجهاد البحري، ومن أهمها مدينة الجزائر، تنس، بجاية، وهران² مما مكن الإسبان من الاستيلاء عليها دون عناء.

إضافة إلى ما سبق تسبب الإسبان في اضطرابات وتهديدات في المنطقة فتحت المجال أمام الأتراك العثمانيين للوصول إلى عاصمة بني زيان، وتم ذلك عن طريق أعيان تلمسان ووجهائها الذين ضاقوا ذرعا بالوضع الذي آلت إليه دولة بني زيان؛ فوجدوا من الرأي الاستنجد بعروج بربروس³ في مدينة الجزائر الذي كان يومها في تنس منشغلا بالحرب مع

المنعم الحميري- الروض المعطار في خبر الأقطار- (تحقيق- احسان عباس)- بيروت- مكتبة لبنان- ط2- 1984م- ص 612- ينظر أيضا- THOMAS SHAW- VOYAGE DANS LA REGENCE D'ALGER AU XVIII SIECLE- (tradition de l'anglais par E- MAC Cathy)- ALGER - Editions Grand-Alger - 2007- p 123.

1- تنس- آخر إفريقية مما يلي المغرب بينها وبين وهران ثماني مراحل --- وهي مدينة مسورة حصينة--- بها مسجد جامع وأسواق كثيرة-ينظر- ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج2- بيروت- دار صادر- 1977م- ص48.

2- بوشنافي محمد- الجيش الانتكشاري في الجزائر خلال العهد العثماني 1700-1830- رسالة ماجستير- جامعة وهران- 2002م- ص 15.

3- عروج بربروس- ثاني الإخوة بربروسا - كان مولعا بركوب البحر- واشتغل بالجهاد البحري وشاع به فاستدعاه سكان جيجل لتخليصهم من الجنويين والإسبان فأجاب دعوتهم- استشهد في الحصار الإسباني لقلعة بني راشد سنة(924هـ/ 1518م)- ينظر- خير الدين بربروس- مذكرات خير الدين بربروس- (تحقيق- محمد دراج)- ط1- الجزائر- شركة الأصالة- 2010م- ص 23 وما بعدها.

يحيى الثابتي المدعوم من طرف الاسبان فوجد عروج في هذا الاستنجد فرصة لاعتراض الاسبان ومنعهم من الدخول إلى تلمسان¹.

2-3 مع العثمانيين: ذاع صيت عروج في المنطقة بعد دخوله إلى مدينة الجزائر، فزاد عدد المستنجدين به، فخلال إقامته بتنس اتصلت به جماعة من سكان مدينة تلمسان لمساعدتهم على التخلص من حاكمهم أبو حمو الثالث عميل الإسبان، والذي كان قد بادر بسجن الوريث الشرعي للعرش مولاي بن زيان². وعند وصول عروج إلى تلمسان سنة 923هـ/1517م قام بإطلاق سراح السلطان المسجون أبا زيان، ونصبه على عرش تلمسان الذي تركه أبو حمو الثالث بعد فراره إلى الإسبان بوهران، ومنها إلى الملك شارلكان لطلب المدد منه لاسترداد عرشه المسلوب، يذكر أحمد توفيق المدني أن عروج ما لبث أن تخلص من أبي زيان وسبعين شخصا من عائلته، وسبب ذلك- حسب- راجع إلى تجدد الفتن، وهذا ما أعاقه على تحقيق مشروعه في بناء دولة جزائرية موحدة³.

قام الإسبان بتجهيز قوة كبيرة توجه بها أبو حمو الثالث إلى تلمسان ليسترداها من عروج، وبعد حصارها تمكن من أسر إسحاق بربروس وقتله سنة 924هـ/1518م، وهذا طبعاً بمساعدة حلفائه الإسبان⁴، وبعد ستة أشهر من الحصار تمكنوا من استرداد تلمسان بعدما خرج منها عروج بربروس إلا أنه وقع في فخ قرب واد المالح، وقتل على إثرها من طرف القائد الإسباني غراسيا دو تينيو (Gracia de Tieno)⁵. لا يتفق المؤرخون حول المكان الذي استشهد فيه عروج، فإذا كان البعض يؤكد أنه قتل قرب واد المالح، يرى آخرون أنه قتل

1- يحيى بوعزيز- المرجع السابق- ص 81- مولاي بلحمسي- "نهاية دولة بني زيان"- الأصيل- العدد 26- السنة الرابعة- جويلية- أوت- عدد خاص عن تلمسان وحاضرتها- ص 34- محمد دراج- المرجع السابق- ص 92.

2- الجديري- محمد "الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"- (تحقيق سليم بابا عمر)- مجلة تاريخ وحضارة المغرب- العدد الثالث- يوليو 1976م- ص 7.

3- المدني أحمد توفيق- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)- الطبعة الثانية- المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1972م- ص 189.

4- Diego de HAE do - HISTOIRE DES ROIS DALGER - (TRADUITE ET ANNOTEE PAR H-D- DE GRAMMONT) - ALGER - ADOLPHE JOURDAN- LIBRAIRE- EDETEUR- 1881p 31.

5- وليم سبنسر- الجزائر في عهد رياس البحر- تعريب عبد القادر زبادية- الجزائر- دار القصبة للنشر- 2006م- ص 43- يحيى بوعزيز- المرجع نفسه- ص 82- مولاي بلحمسي- المرجع نفسه- ص 34- محمد دراج- المرجع السابق- ص 92- ينظر أيضا- pp 32- cit- op- Diego de HAE do-

في جبل بني موسى غرب تلمسان قرب نهروجة على الحدود الجزائرية المغربية، في حين يرى بربروجر (Berbrugger) أنه قتل في جبل بني يزناسن¹.

استمرت الصراعات التي كانت تحركها أقوى الكيانات الساسية المتصارعة: العثمانيون والإسبان، فبعد وفاة أبي حمو الثالث سنة 1518م خلفه ابنه الذي استمر في موالاة الإسبان، فعمل خير الدين بربروس² على مساعدة أبي سرحان المسعود (925هـ/1519م) من أجل اعتلاء عرش الدولة الزيانية بدل أخيه عبد الله الثاني، ثم إن هذا الأخير أعلن توبته من موالاة الإسبان مما جعل خير الدين بربروس يؤيده في استرداد عرشه من أبي سرحان المسعود الذي ما لبث أن عاد إلى خيانتته وموالاته للإسبان، ولكن خير الدين أوقفه عند حده، ولم يغفل عنه أو يهمله حتى توفي عام 1524م³، أما خليفته على عرش تلمسان محمد السابع فقد انحاز إلى الإسبان ضد العثمانيين، فلما ثار السكان ضده وأخرجوه جهزه الإسبان بحملة من وهران احتلت تلمسان. وبالتالي أصبح الإسبان في وهران خلال هذه الفترة مصدر كل صراع بين أفراد الأسرة الحاكمة، وأضحت وهران معقلا لكل معزول ومسلوب عرش وطالب للسلطة مثلما حدث مع محمد السابع عندما افتك منه أخوه أبو زيان أحمد الثاني العرش سنة 949هـ/1542م، والأمر نفسه قام به أحمد الثاني أبو زيان لما عاد إلى عرشه بعدما ثار عليه أخوه الحسن الزياني⁴.

ولكن بعد ظهور الدولة السعدية بقيادة الشريف المهدي (915-964هـ/1544-1557م) في المغرب الأقصى وحروبها مع العثمانيين بالجزائر اضطر حسن باشا ابن خير الدين بربروس إلى عزل أبي زيان أحمد، وتعويضه بالأمير الحسن بن عبد الله الزياني، واستمر الوضع على حاله إلى سنة 1554م أين قام البايبري صالحي راييس (909هـ/1551م) بإزاحته عن العرش نظراً لولائه للإسبان، وألحق تلمسان بالجزائر المحروسة، وبذلك كانت نهاية

1- بوشناني محمد- المرجع السابق- ص 25.

2- خير الدين بربروس: ولد في جزيرة ميدي سنة 888هـ/1483م. يرجع له الفضل في إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية حيث عين أميراً للجزائر، ثم عينه السلطان سليمان القانوني قائد الأساطيل البحرية العثمانية. توفي سنة 953هـ/1546م. ينظر ابن الرقية التلمساني محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجليلي- الزهرة النائرة- تعليق خير الدين سعدي- ط1- جيجل- أوراق ثقافية- 2017م- ص 83.

3- مولاي بلحمسي- المرجع السابق- ص 34-35.

4- عبد العزيز فيلاي- المرجع السابق- ص 78- يعي بوعزيز- المرجع السابق- ص 26- أحمد توفيق المدني- "تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين (1530/1554م)"- الأضالة- العدد 26- السنة الرابعة- جويلية- أوت- عدد خاص عن تلمسان وحاضرتها- ص 44.

مملكة بني زيان التي عمّرت أكثر من ثلاثة قرون عرفت خلالها فترات مدّ وجزر تأرجحت بين القوة والضعف وفقا لقوة وحنكة سلاطينها أو على حسب الجهة الداعمة لهم¹.

4- آثار هذا الصراع وانعكاساته على المغرب الأوسط: يمكن تقسيم الآثار والانعكاسات التي خلفتها هذه الصراعات على المغرب الأوسط حسب تأثيرها إلى:

1-4 الآثار الداخلية لتنافس أفراد الأسرة الزيانية على العرش: نتج عن هذه الصراعات خروج بعض الأقاليم والنواحي عن طاعة الدولة الزيانية، وتأرجحها بين التبعية للجارتين أو الاستقلال الذاتي تحت حكم أمير معارض، حيث أضى الحكم الزياني ينحصر في تلمسان وأحوازاها، كما دفعت من جهة أخرى القبائل التابعة للدولة الزيانية ولاسيما العربية منها إلى التسلط على الدولة وذلك لضعف شوكة السلطة المركزية وعجزها عن فرض النظام على كامل الأقاليم. كما خلّفت هذه الصراعات التي دارت رحاها في المغرب الأوسط حالة من الفوضى وانتشار ظاهرتي اللصوصية وقطع الطرق، وكثير التعدي على أرزاق العامة واستباحتها².

ولعلّ أبرز ما ميّز الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة هو طول مددها وتعدد مناطق النزاع بها. فأبرزت أزمات اقتصادية وساهمت بشكل كبير في تراجع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والديمقراطية وأدت إلى غلاء الأسعار وانتشار المجاعات والابوئة وخراب الأمصار والمصانع وكلفت خزينة الدولة نفقات باهظة، واستنفذت طاقاتها ومواردها وخيراتها. وساهمت في انتقاص عمران الأرض بانتقاص البشر وذلك لما تتطلبه هذه الحروب من أرواح وأموال حسب ما يصفه ابن خلدون³.

ومن ناحية أخرى كثرت الاضطرابات والعصيان بأمصار الدولة الزيانية وأريافها بسبب انتهاجها أسلوب فرض الضرائب الثقيلة على الرعية مما يزيد من فقر المزارعين ويدفعهم إلى التحول للرعي الذي يفرض عليهم الترحال. وهذا ما سبب ارتفاعاً في أسعار السلع التي يكثر

1- عبد العزيز فيلاي- المرجع نفسه- ص79- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشهبو- المرجع السابق- ص212.

2- الحسن بن محمد الوزان- وصف إفريقيا- ج2- ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر- ط2- بيروت- دار الغرب الإسلامي- 1983م- ص27- محمد بلحسان- عبيد بوداود- "للصوصية وأثرها في حركة القوافل بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني"- الناصية- مجلد 10- العدد 2- ديسمبر 2019م- ص287.

3- ابن خلدون عبد الرحمن- المقدمة- ص355- (فصل الظلم مؤذن بخراب العمران).

الإقبال عليها في المرحلة الأخيرة بسبب كثرة الثورات والحروب بين الأمراء من جهة وبين القوى المعادية من جهة ثانية¹. ولم تسلم أرياف المغرب الأوسط من التخريب حيث كانت تنسف المزروعات وتحرق الغلات وتحطم مجاري المياه، فيتعطل الانتاج بسبب حالة الحرب أو الخوف من نشوبها وفي هذه الحالة يتجه أصحاب الأرياف إلى الاشتغال بحرفة الرعي².

دخل سلاطين الدولة الزيانية وحكام الأقاليم التابعة لها (مدينة الجزائر، تنس، وهران) في دوامة صراع غايتهم إرجاع الأمور إلى وضعها الصحيح، ووسيلتهم في ذلك الانتقام ولكن لصعوبة ذلك يضطرون إلى الاعتماد على القبائل والتحالف معها ولكن ذلك لم يكن متاحا إلا بعد إغداق الأموال عليها مما يزيد من سطوة هذه القبائل وتجبرها. حيث سيطرت القبائل العربية وخاصة بني هلال على معظم أراضي الدولة الزيانية في نهاية القرن 8هـ/ 14م مستغلين هذا الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة في جباية الضرائب من التّواحي، كما استمروا في التحكم بالسكان الذين كانوا يعانون من أحكام موظفي الدولة مما يجبرهم على اللجوء إلى الزوايا لطلب الاحتماء والشفاعة من شيوخها³.

ومن جهة أخرى ساهمت هذه الصراعات بين فروع الأسرة الحاكمة وخاصة التي اندلعت بين سنّي (762-783هـ/1360-1381م) بين السلطان أبي حمو موسى الثاني وابن عمه عثمان في خلق ظروف اجتماعية صعبة عاشها أفراد مجتمع المغرب الأوسط وعانى منها تمثلت في الجوائح والمجاعات والأوبئة التي نتج عنها وباء الطاعون كما هو معلوم خلال عامي (764-765هـ/1363-1364م)⁴.

2-3 الآثار الإقليمية والدولية لتنافس أفراد الأسرة الزيانية على العرش: أدت الصراعات المتكررة والحروب المستمرة إلى غياب الأمن والاستقرار، وجعلت من أرض المغرب الأوسط مسرحا للحروب والفتن، وانعدام الأمن. حيث عرّضت هذه الصراعات الدولة الزيانية للخطر، وذلك بجعلها فريسة لسيطرة القوى المجاورة من بني مرين وبني حفص، وفي أحيان كثيرة تسببت في بسط نفوذهم عليها، فالعداء الشديد والتنافس بين الجارتين الحفصية

1- حساني مختار- تاريخ الدولة الزيانية- ج2- الجزائر- منشورات الحضارة- 2009م- ص 63-67.

2- عبيد بوداود- تلمسان في مواجهة- ص 177.

3- ابن خلدون- تاريخ بن خلدون- المصدر السابق- ص182- شارل أندري جوليان- المرجع السابق- ص 207.

4 - محمد بلحسان- عبيد بوداود- اللصوصية وأثرها- ص 290- خالد بلعربي- ورقات زبانية- الجزائر- دار هوم- 2014م- ص 110.

والمرينية على أملاك الزيانيين جعلهما لا تدخران وسيلة في سبيل السيطرة على الدولة الزيانية، وإخضاعها لسلطتهما، ومن بين هذه الوسائل إذكاء نار الفتنة بين فروع البيت الحاكم، ودعم الخروج على طاعة السلطان الشرعي، والدخول في حروب ضده قد تمتد لسنوات يستعين من خلالها أفراد الأسرة الحاكمة بأطراف لا تزيد من الوضع إلا سوءاً وتدهوراً مُغَلَّبةً مصالحها الذاتية على مصالحهم. أو قد يضطرون لطلب دعم ومساعدة الخصوم من بني مرين وبني حفص وفي حال نجح المعارض المدعوم في الوصول إلى السلطة فإنه سيسهل مهمة هؤلاء في أن يكونوا أوصياء على السلطة، وهو ما حدث في مناسبات عدة، وعليه فإن أية محاولة منه للتخلص من التبعية لهم، وتخليص عرشه من وصايتهم، أو أية محاولة منه لإصلاح شؤون دولته والنهوض بها ستجعله يصطدم بالخصوم من بني مرين وبني حفص، وفي نهاية المطاف سيخرجون له معارضا جديدا من آل بيته يتمتع بدعمهم ومساندتهم، وهذا الأمر أثر في العلاقات الدبلوماسية للدولة الزيانية، حيث أن السلاطين في أواخر عهد الدولة، ونظرا لانعدام الثقة بين أفراد البيت الحاكم، وجدوا أنفسهم مضطرين لاستخدام اليهود في السفارات، ومبعوثين لتمثيل السلطان، وعقد الصفقات والمعاهدات وغيرها¹.

ومن جانب آخر مهدت هذه الصراعات للاحتلال الإسباني للدولة الزيانية الذي ألحق بها هزائم عدة واستولى على أغلب مدنها الساحلية²، ثم جرتها إلى الحماية العثمانية فيما بعد. فابتداء من مطلع القرن 16م ومن جراء الحرب القائمة بين الأخوين أبي زيان الثالث وأبي حمو الثالث اغتنم الإسبان فرصة الاضطرابات داخل تلمسان، وقاموا باحتلال المرسى الكبير عام 1505م، وبسطوا سطوتهم ونفوذهم على عرش تنس، وقاموا بتحريضهم ضد عرش تلمسان لتنشب بينهم حروب وصراعات استغلها الإسبان في احتلال وهران عام 1509م، وبجاية عام 1510م، والجزيرة المقابلة لمدينة الجزائر ومستغانم عام 1511م،

1- محمد بلحسان- عبيد بوداود- اللصوصية وأثرها----- ص 287-288- أمين كرتالي- "الانعكاسات السياسية والاقتصادية للوجود الهلالي في المغرب الأوسط"- مجلة عصور - المجلد 17- العدد 2- ديسمبر 2018م-ص 93-94.

2- محمد بن يوسف الزياني- المصدر السابق- ص 187- شارل أندري جولييان- المرجع السابق- ص 207- يحي بوعزيز- المرجع السابق- ص 75.

ودلس وعنابة وهنين عام 1531م¹. وبذلك حاصروا تلمسان سياسياً، وخنقوها اقتصادياً وتجارياً؛ فلم يجد ملوك بني زيان بداً من مسالمتهم ومهادنتهم. أما في الفترات المتأخرة من عمر الدولة الزيانية فقد تحولت الضرائب والضريبة الجمركية خاصة إلى يد الإسبان والأتراك العثمانيين، إذ أصبح السكان يقدمونها لهؤلاء بدل السلطان الزياني مما أثر في خزينة الدولة، وأدخلها في أزمات اقتصادية لأن أكثر عائدات خزينة الدولة كانت من وهران والمرسى الكبير اللتين تعتبران من أهم موانئ الدولة الزيانية، وقد تأثرت كثيراً لفقدتهما².

أما بعد ربط مدينة الجزائر بالخلافة العثمانية سنة 1519م أجرت رغبتها على بني زيان فعند عقد مهادنة أو طلب صلح يرفقونه بالخراج والهدايا، وحمل مقدار من المال في شكل ضرائب سنوية. إلا أن الدولة الزيانية لم تكن تلتزم بتسديد هذه المبالغ في أغلب الأحيان نظراً لوضعيتها الاقتصادية حيث كانت معظم أراضيها وموانئها تحت قبضة الإسبان³.

الخاتمة: ما يمكن التوصل إليه من خلال هذا المقال أن:

- الصراعات على السلطة داخل البيت الزياني عرّضت أمن واستقرار المغرب الأوسط لأخطار زعزعت نظام الحكم فيه، وجعلته عرضة للهجمات الخارجية والفتن الداخلية.
- كما أن سلاطين بني مرين وبني حفص كان لهم دور كبير في إذكاء نار الفتنة بين فروع البيت الزياني، وإثارتهم على الخروج عن الطاعة والدخول في حروب ضد السلطان الشرعي امتدت إلى غاية ضعف الدولة المرينية من جهة بظهور الوطاسيين والسعديين، أما بني حفص فقد أدى ضعفهم وانقسامهم على أنفسهم إلى كفههم عن الدولة الزيانية.
- هذه الصراعات على السلطة دفعت السلاطين إلى الانشغال بالإعداد للحرب كل موسم، مما تسبب في انتشار ظاهرة اللصوصية وقطع الطرق، وإهلاك السابلة من طرف القبائل التي زادت سطوتها، وظهور الأمراض والأوبئة التي أخذت تفتك بالمجتمع.

1- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشهبو- المرجع السابق- ص 107- محمد بن يوسف الزياني- المصدر السابق- ص 188 وما بعدها- يحي بوعزيز- المرجع السابق- ص 81.

2- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشهبو- المرجع السابق- ص 108- حساني مختار- نفسه- ص 119-120.

3- شارل أندري جولييان- المرجع السابق- ص 207.

- ليتغير الوضع إلى الأسوأ بدخول الإسبان بين أطراف النزاع بعد احتلالهم لوهران؛ فأصبحت هذه الأخيرة مأوى لكل خارج عن السلطة وتمرّد عليها من أفراد الأسرة الحاكمة يجهز له الدعم المادي والعسكري مقابل المعاهدات ذات الشروط المخزية والمذلة.

- أدى الإسبان دوراً خطيراً في تغذية هذا الصراع بين أمراء البيت الزياني كما حدث مع عرش تنس وعرش تلمسان، حيث قاموا بتحويل هذا الصراع لخدمة مساعيهم التوسعية الاستعمارية.

- انتهى الصراع داخل الدولة الزيانية إلى نتيجة حتمية، وهي زوالها وإحاقها بالجزائر العثمانية.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن خلدون عبد الرحمن- تاريخ ابن خلدون- مراجعة سهيل زكار- بيروت- دار الفكر- 2000م.
- ابن الأحمر- تاريخ الدول الزيانية- تقديم- هاني سلامة- ط1- الطاهر- مكتبة الثقافة الدينية- 2001م.
- ابن الخطيب السلماني- رقم الحلل في نظم الدول- تونس- المطبعة العمومية- 1316هـ.
- ابن الرقية التلمساني محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني- الزهرة النائرة- (تعليق- خير الدين سعدي)- ط1- جيجل- أوراق ثقافية- 2017م.
- ابن خلدون عبد الرحمن- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا- بيروت- دار الكتاب اللبناني- 1979م.
- ابن خلدون عبد الرحمن- المقدمة.
- أحمد توفيق المدني- "تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين (1530/ 1554م)"- الأصالة- العدد 26- السنة الرابعة- جويلية- أوت- عدد خاص عن تلمسان وحاضرتها.(37-45).
- أحمد توفيق المدني- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)- الطبعة الثانية- المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1972م.
- الإدريسي الفاسي- نزعة المشتاق في اختراق الآفاق- مدينة ليدن- مطبعة بريل- 1863م.
- أمين كرتالي- "الانعكاسات السياسية والاقتصادية للوجود الهلالي في المغرب الأوسط"- مجلة عصور- المجلد 17- العدد 2- ديسمبر 2018م. (82-122).
- بوشناق محمد- الجيش الانكشاري في الجزائر خلال العهد العثماني 1700-1830- رسالة ماجستير- جامعة وهران- 2002م.
- حساني مختار- تاريخ الدولة الزيانية- ج2- الجزائر- منشورات الحضارة- 2009م.
- الحسن بن محمد الوزان- وصف إفريقيا- ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر- ط2- بيروت- دار الغرب الإسلامي- 1983م.
- خالد بلعربي- ورقات زيانية- الجزائر- دار هومة- 2014م.
- خير الدين بربروس- مذكرات خير الدين بربروس- تحقيق- محمد دراج- ط1- الجزائر- شركة الأصالة- 2010م.
- شارل أندري جوليان- تاريخ إفريقيا الشمالية- تعريب- محمد مزالي- البشير بن سلامة- تونس- الدار التونسية للنشر- 1983م.
- عبد الحميد بن أبي زيان بن أشهبو- دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر- الجزائر- المطبعة الشعبية للجيش- 1972م.
- عبد الرحمن الجيلالي- تاريخ الجزائر العام- ط2- الجزائر- مكتبة الشركة الجزائرية- 1965م.
- عبد العزيز فيالي- تلمسان في العهد الزياني- الجزائر- موفم للنشر والتوزيع- 2002م.
- ابن عبد المنعم الحميري- الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق إحسان عباس- بيروت- مكتبة لبنان- ط2- 1984م.
- عطاء الله دهينة- ضمن كتاب الجزائر في التاريخ- ج3- الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب- 1984م.
- مبارك الميلي- تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ج3- الجزائر- دار الكتاب العربي- 2007م.

- محمد الجديري- "الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"- تحقيق سليم بابا عمر- مجلة تاريخ وحضارة المغرب- العدد الثالث- يوليو 1976م.
- محمد بلحسان- عبید بوداود- "اللطوصية وأثرها في حركة القوافل بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني"- الناصرية- مجلد 10- العدد 2- ديسمبر 2019م. صص 280-305.
- محمد بن عبد الله التنسي- نظم الدروالعقيان في بيان شرف بني زيان- تحقيق محمد بوعبياد- الجزائر- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- 2011م.
- محمد بن يوسف الزياني- دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران- تحقيق المهدي البوعبدلي- الجزائر- عالم المعرفة- ط1- 2013م.
- محمد دراج- الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس- الجزائر- دار الاصاله للنشر والتوزيع- ط1- 2012م.
- مولاي بلحمسي- "نهاية دولة بني زيان"- الأصاله- العدد 26- السنة الرابعة- جويلية- أوت- عدد خاص عن تلمسان وحاضرتها. (30-36).
- مؤلف مجهول- زهر البستان في دولة بني زيان- (تحقيق- بوزياني دراجي)- ج2- الجزائر- مؤسسة بوزياني- 2013م.
- ولیم سینسر- الجزائر في عهد ریاس البحر- (تعريب- عبد القادر زيادية)- الجزائر- دار القصبة للنشر- 2006م.
- يحيى بن خلدون- بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد- ج1- الجزائر- مطبعة ببيرون فونطانا الشرقية- 1903م.
- يحيى بوعزيز- تلمسان- الجزائر- وزارة الثقافة- مطبعة الجيش- 2007م.

قائمة المراجع الأجنبية:

Diego de HAE do - HISTOIRE DES ROIS DALGER - (TRADUITE ET ANNOTEE PAR H-D- DE GRAMMONT) - ALGER - ADOLPHE JOURDAN- LIBRAIRE- EDETEUR- 1881.

THOMAS SHAW- VOYAGE DANS LA REGENCE D'ALGER AU XVIIIe SIECLE- (tradition de l'anglais par E- MAC Cathy) - ALGER - Editions Grand-Alger - 2007.